دور المدارس الإسلامية في تطوير اللغة العربية في وادي كشمير

د/ إرشاد أحمد مير، الأستاذ المساعد من الجامعة الإسلامية للعلوم والتقنية، أونتي بوره كشمير

المقدّمة:

للدعوة الإسلامية والحركات الصوفية التي تشكلت في أرجاء كشمير المختلفة بعد وفود العلماء الكرام والصوفيين العظام إليها دور كبير في إنتاج التراث العظيم للغة العربية وآدابها في كشمير. إنهم ساهموا مساهمة عظيمة في تطوير اللغة العربية ونشرها وإن كان هدفهم الأصلي نشر الإسلام. من أهمهم الشيخ شرف الدين رحمه الله الذي كان يلقب ببلبل شاه والشيخ الشاه الهمداني والسلطان زين العابدين الذين ادوا دورا هاما جدا في ترقية ونشر اللغة العربية في كشمير.

إنهم ورثوا هذه اللغة من أجدادهم وآباءهم ثم زاد اهتمامهم بها حينما انشأوا المدارس والمعاهد في كشمير وقاموا بالتأليفات القيمة في هذه اللغة الممتازة حتى زينوا أهل كشمير بحلى العلم والمعرفة واسهاماتهم القيمة في تطوير اللغة العربية وآدابها.

بعد الفترة ظهر عديد من العلماء الكرام من هذه الوادي الجميل الذين عنوا عناية كثيرة لنشر التعاليم الإسلامية بإسهاماتهم الجليلة ومن أهمهم: الشيخ أنور شاه الكشميري وغلام رسول شاه ومحمد يوسف شاه.

إنهم أسسوا مدارسا إسلامية ومعاهدا جديدة في أنحاء مختلفة من كشمير لتدريس القرآن الكريم والأحاديث النبوية وما إلى ذلك. ومن أهم هذه المدارس الكلية الشرقية الإسلامية أقيمت عام 1899م الموافق 1317الهجرية والتي أسسها غلام رسول شاه ومدرسة الفيض العام التي أسسها العلامة أنور الشاه الكشميري عام 1333هجري ومدرسة أنور العلوم التي أسسها محمد شيراغ نصير الدين عام 1387هـ .والكلية الشرقية التي أسسها رئيس الوزراء السابق لدولة كشمير الأستاذ المسعودي عام 1947م و من المدارس الجديدة مدرسة مدينة العلوم الشهيرة باسم "دار القرآن والحديث" التي تم تأسيسها عام 1964م والتي اشتهرت فيما بعد باسم الكلية السلفية. ومدرسة تعليم القرآن التي أسسها جمال الدين القاسمي عام 1974م و دار العلوم رحيمية باندي بوره التي أسست عام 1399الهجرية وجامعة البنات التي أسست عام 1999م وغيرها من المدارس الكثيرة.

جدير بالذكر هنا أن الادب العربي قد بدأ تطوره في وادي كشمير منذ ورود الصوفيين إلى كشمير. إنهم بدأوا القاء الخطب على منابر المساجد وإذاعة المقالات الإسلامية في الجرائد والمجلات وتأليف الكتب الإسلامية باللغة العربية وإنشاء المدارس الإسلامية في كشمير التي أدت دورا هاما في نشأة وتطور اللغة العربية في كشمير. زار مير سيد علي همداني رحمه الله إلى كشمير مرة ثانية في عهد الملك قطب الدين الذي حكم على كشمير منذ عام 1374 م إلى عام 1389م. وأقام الهمداني في حي علاء الدين حيث بنى بيتا لنفسه وكان يصلي فيه الصلاة ثم كان يقيم فيه حلقة الدرس والخطب والتعاليم القرآنية ولم يكتف على ذلك فحسب بل نشر الإسلام في جميع أنحاء كشمير حتى أحس الناس بحاجة ماسة للحصول على العلوم الدينية وفهم المبادئ الإسلامية وعقيدة الإسلام. إدراكا منها أسس الملك قطب الدين كثيرا من المدارس الدينية في الأماكن المختلفة ومن أهمها:

مدرسة الملك قطب الدين ومدرسة القرآن الكريم ومدرسة العروة الوثقى وغيرها كثير.

1. **مدرسة الملك قطب الدين**: أنشئت هذه المدرسة في مدينة قطب الدين بوره، سرينغر وأسسها الملك قطب الدين بنفسه وتدرجت هذه المدرسة إلى الرقى العليا حتى تخرج منها كثير من الطلاب الذين أدوا دورا هاما في تطوير اللغة العربية في كشمير ومنهم المذكور أدناه:

1. الشيخ محسن الفاني 2. الشيخ عبد الستار المفتي و الشيخ رحمة الله طرابلسي و الشيخ طاهر غني عثماني و الشيخ زمان عثماني و الشيخ قاسم الترمذي و غيرهم كثير.

2.**مدرسة القرآن الكريم**: أسسها الملك قطب الدين لتعليم القرآن الكريم ويقال إن مير السيد علي الهمداني رحمه الله أشار إليهم لإنشائها.

3.مدرسة **العروة الوثقى**: أسسها بنفسه وكان مديرها الشيخ جمال الدين الذي كان محدثا ومفسرا. ([1])

ثم جاء عهد الملك سلطان زين العابدين الذي كان شهيرا جدا في كشمير بأعماله القيمة ومجهوداته العظيمة وكان الناس يشبهونه بمأمون الذي أسس دار الحكمة في العصر العباسي حتى اشتهر بمأمون كشمير. أقيمت في زمنه كثير من المدارس الدينية من أهمها ما يلي:

1.مدرسة السلطان زين العابدين ومدرسة إسلام آباد والمدرسة الصوفية.

1.**مدرسة السلطان زين العابدين**: أقامها بنفسه و الأساتذة البارزون الذين عينوا في هذه المدرسة لمنصب التدريس من أهمهم و أشهرهم: الشيخ أحمد كشميري والحافظ البغدادي والشيخ بارسا البخاري والشيخ جمال الدين

[1] تاريخ كشمير ،المجلد الأول ص272

الخوارزمي والأمير علي البخاري والشيخ يوسف الرشيدي وغيرهم.

2. **مدرسة إسلام آباد:** هي مدرسة شهيرة جدا ذاع صيتها في كل فج وصوب. بنيت وشيدت في عهد زين العابدين وساهمت مساهمة عظيمة في نشأة وتطور اللغة العربية في كشمير. ([1])

3. **المدرسة الصوفية:** أقامها السلطان دارا شكوه في حصن جبل يعرف باسم "جشمه شاهي "لم يعد من الممكن لهذه المدرسة أن تبقى وتستقر دون المستوى المالي الذي كان يعطيه الملك داراشكوا فغلقت أبوابها بعد وفاته وبعد أن واجه الناس المصائب الكثيرة من اجل الظروف السياسية الطارئة على كشمير. وجدير بالذكر هنا ان هذا المكان لا يزال شهيرا جدا بين الناس باسم برى محل أي قصر الحوريات. ثم حكم المغوليون على كشمير ومالوا قبل كل شيء إلى تشييد وإقامة المدارس الإسلامية حتى بنوا مدارسا كثيرة في بقاع كشمير المختلفة ومن أهمها:

1. مدرسة ملا حيدر ومدرسة خواجه خان نقشبند ومدرسة السيد منصور.

اما مدرسة ملا حيدرفقد أقامها ملا حيدر في عهد جهانغير .

2.*مدرسة خواجه خان نقشبند*: قد أسسها خواجه أخوند محمود في سرينغر بسوق خواجه في عهد الشاه جهان. تخرج منها كثير من العلماء الفذة و الأدباء و منهم من يعدون من كبار العلماء الكشميريين و منهم من دونوا كتاب "الفتاوى النقشبندية " ثم من سوء الحظ، أغلقت هذه المدرسة من أجل الانهيار السياسي في كشمير.([2])

3.**مدرسة السيد منصور**: أسست هذه المدرسة في عهد عناية الله خان الذي كان حاكم ولاية كشمير الذي تولى إدارتها ثم سقطت الإمبراطورية المغولية في كشمير وبدأت الغزوات بين السيخ ودوغرا وأفغان فلم يتمكن أحد على ان ينشأ المدارس في هذه الأيام المروعة.

لعل أول مدرسة أسست بعد هذه الأحوال الطارئة على واديتنا *هي الكلية الشرقية* براجوري كدل سرينغر وقد أسسسها مير واعظ كشمير مولانا غلام رسول الشاه عام 1899/ 1317للهجرة بعد سقوط الحكومة المغولية. كانت هذه المدرسة تسمى بمدرسة الفقه وحديث الرسول. قد تخرج منها عديد من العلماء الكرام الذين ساهموا مساهمة عظيمة في تطور اللغة العربية في كشمير.

[1] برهان ،جلد 83 شماره 6 ديسمبر 1979 ص 237

[2] تاريخ كشمير ج1 ص 188

الفيض العام:

لهذه المدرسة أهمية عظيمة جدا. قد أسسها الشيخ والمحدث والعالم الكبير و الشهير الأستاذ أنور الشاه الكشميري بنفسه عام 1333الهجرية. من سوء حظ أهل الكشمير، إنه غادر كشمير وقصد إلى دار العلوم ديوبند حيث عين مدرسا على حسب تعبير الدكتور مظفر حسين الندوي:

ولكنه تنسم أنه يضيع وقته في باره موله بكشمير مع الجهال الذين لا يرون للعلم قيمة فقد ورثوا دينا لم ينل به الله من سلطان وهم متمسكون به بالنواجذ.([1])

الكلية الحنفية: أسست هذه المدرسة عام 1974م تحت رعاية تبليغ الإسلام. بدأ عمله في المسجد الشاهي و كان مهجعها في زينة كدل بسرينغر، كشمير ثم اشتريت الأرض للكلية عام 1979م في نورباغ بسرينغر كشمير .وتم انتقالها من زينه كدل إلى نورباغ عام 1982 .يعبر عنها الدكتور مظفر حسين الندوي قائلا:

مع ذلك فإن هذه الكلية من حيث النظام أحسن بكثير من الكلية الشرقية في أقل سنا ووسائلها محدودة وهي تسير على عصا عجوز. ()

مدرسة تعليم الإسلام: أسسها مولانا نور الدين ترالي عام 1940م. هذه المدرسة واقعة في ترال كشمير. هي مدرسة شهيرة جدا في كشمير بمبادئها المستقرة و قوانينها الثابتة و مناهجها الأنيقة و الجديدة حيث بوجد اندماج القديم بالجديد . وصف الدكتور مظفر حسين ميزة هذه المدرسة فيقول: "كان من ميزاتها تربيتها الصالحة لطلبتها و الفضل يرجع في ذلك إلى مولانا نور الدين الترالي المسئول عن هذه المدرسة ،كان متدينا شديد التدين متمسكا بالكتاب و السنة و مرجع كثيرين من الناس ،لم يكن يتعصب لجماعة دون جماعة أو منظمة دون غيرها ،لذلك كان محبوبا عند الجميع و ذلك لأنه كان خليفة مسيح الله خان الجلال آبادي الهندي ."

الكلية السلفية أو دار القرآن والحديث: أقيمت هذه الكلية عام 1969م باسم " دار القرآن والحديث "تم تأسيسها تحت اشراف جمعية أهل الحديث بجامو وكشمير. خصصت هذه الكلية بسر ينغر كشمير للطلاب المعتقدين بمذهب السلفية. من اهم أهدافها:

1.تطوير المناهج التعليمية الدينية واللغة العربية وتشويق عامة الناس إليها.

2.نشر التوحيد الخالص في جميع انحاء كشمير.

3.إعداد جماعة من الدعاة والمبلغين والخبراء لمعالجة الصراع الفكري.

دار العلوم الرحيمية : تقع هذه المدرسة في مدينة باندي بوره من مديرة باندي بوره .هذه مدرسة من المدارس الإسلامية الدينية التي

[1] اماثيل كشمير لمظفر حسين الندوي

أسست بكشميرو نسجت على منوال ومنهج دار العلوم الديوبند .قد تخرج منها عدد كثير من الطلاب بعد حصولهم على شهادة العالمية و الفضيلة و التخصص في الفقه ثم التحق بعض منهم بدار العلوم ديوبند او ندوة العلماء لنيل الدراسة العليا حتى تبرعوا في اللغة العربية .

دارالعلوم سوبور: هذه المدرسة أسست عام 1977م. سارت هذه المدرسة على منهج وافكار دار العلوم الديوبند. لها دور هام في ترويج اللغة العربية في كشمير. عدد كثير من خريجيها التحقوا بدار العلوم ديوبند ونالوا الدراسة العليا فيها حتى تبرعوا في المادة التي تخصصوا فيها وخدموا اللغة العربية بعد تخرجهم من المدارس الاسلامية الهندية الشهيرة.

دارالعلوم البلالية : أسست هذه المدرسة عام 1411 الهجرية في لال بازار بسرينغر .قد تخرج منها عدد كبير من الطلاب الذين نالوا الدراسة العليا من المدارس الإسلامية الكبيرة ثم قاموا بخدمة اللغة العربية بطرق عديدة منهم من يدرسون الطلاب في المدارس الإسلامية و منهم من نالوا الدراسات العليا في الجامعات الحكومية ثم عينوا مدرسا إما في المدارس الثانوية أو الكليات أو الجامعات .و منهم من يخطب الناس على منابر المساجد .يكتب عنها الدكتور مظفر الندوي فيقول :

نالت هذه المدرسة صيتا في انحاء كشمير وازدهرت ازدهارا باهرا لإخلاص المسئولين عنها وتوسع نطاقها اليوم. ([1])

جامعة البنات: هذه المدرسة أسست عام 1999م. من مسئوليها محمد عبد الله شيدا والأستاذ غلام محمد صوفي. هي ملتقى القديم والجديد. تقبل شهادتها في المدارس الحكومية والجامعات الحكومية. الخريجات من هذه المدرسة يلتحقن بالجامعات الحكومية لنيل شهادة الماجستير والدكتوراه ثم يدرسن في المدارس او الكليات او الجامعات. لها دور هام في تطور اللغة العربية في كشمير.

سراج العلوم شوبيان:أسست هذه المدرسة عام 1985م يمكن ان أقول إن هذه المدرسة أخت "جامعة البنات" بأن كلتى المدرستين نهجتا نهجا جديدا حيث يمتزج القديم و الجديد و تقبل شهاداتهما في المدارس الحكومية . و لهذه المدرسة ميزة خاصة و منفردة تميزها عن المدارس الإسلامية الأخرى التي توجد في كشمير و هي أن طلابها على الاختيار بعد حصولهم على شهادة الثانوية إما أن يدرس التعليم العصري أو التعليم الديني وفي كلتا الطريقيتين و الصورتين، الطالب يحصل على الشهادة التي تقبل من الجامعات. أما التفاوت و الامتياز فهو في المواد فقط . في الصورة الأولى الطالب يحصل على

[1] مدارس كشميرالإسلامية لمظفر حسين الندوي ص 84

الشهادة في قسم العلوم وفي الصورة الثانية الطالب ينال الشهادة في قسم الآداب. أما الطلاب من قسم الآداب فهم يستمرون في جهودهم لخدمة اللغة العربية وتطورها وإن تدرس اللغة العربية لقسم العلوم أيضا.

عندي قائمة طويلة للمدارس الذين يدرسون اللغة العربية ويقومون بخدمتها بأشكال مختلفة و لكن لا يمكن أن أذكر كل واحد منها فردا فردا و لذلك اكتفيت بذكر بعض المدارس الشهيرة التي أدت دورا هاما منذ الزمن القديم إلى عصرنا الحاضر في وادينا الكشمير لتطور اللغة العربية وازدهارها .

اجتازت اللغة العربية مرحلة الضعف والنقص وأدت إلى المرحلة التي ظهر فيها عديد من العلماء البارزين الذين قرضوا القصائد باللغة العربية وألفوا تأليفات عديدة وسطع شعاع علومهم في جميع انحاء كشمير حتى انكشف غمام الشرك و الكفر و الجهل من هذه الوادية العظيمة وطلعت شمس الإسلام في أرضها ،من أشهرهم:

1.الشاه همدان: إنه نشر الإسلام في كشمير حينما زار إليها عام 740ه كما يشير إليه الدكتور سيد أشرف ظفر بهذه الكلمات:

"إن الشاه همدان كان يشاهد في كشمير المناظر الفطرية الجميلة التي كانت تشبه بمناظر المناطق الشمالية الغربية في الإيران وبمناظر الأقاليم الجبلية وصمم على أن يكونها مثل إيران الصغير"

إنه أقام فيها مدارسا إسلامية لنشر العلوم الدينية التي أدت دورا هاما لنشر وتطور اللغة العربية والخريجون من هذه المدارس تبرعوا في هذه اللغة حتى ألفوا عديدا من الكتب في موضوعات شتى وذاع صيتهم ومنهم المذكور أدناه:

1.عبد الله البيهقي: إنه ألف كتيبات عربية كثيرة مع كتيبة "قصيدة بدر الدجى " التي ألفت بالعربية.

2.مير سيد سعيد اندرابي: إنه ألف تفسير القرآن الكريم باللغة العربية.

الشيخ يعقوب صرفي: كان عالما كبيرا وشهيرا جدا إنه سعى سعيا جدا لنشر الإسلام في كشمير ولكنه احتاج إلى تعلم اللغة العربية لأنها وسيلة مهمة جدا من وسائل نشر الإسلام فمال إلي تعلمها وتبرع و تمهر فيها ثم ألف الكتب العديدة باللغة العربية لنشر الإسلام حتى ازدهرت اللغة العربية واشتاق إلى تعلمها كل من كان يود أن يفهم الإسلام والعقيدة الصحيحة والنصوص الإسلامية. من اهم أعماله ما يلي:

مسلك الاخبار ليلى مجنون مغازي النبي صلى الله عليه وسلم ومقامات مرشد و مطلب الطالبين و تفسير القرآن الكريم و شرح الأربعين

و مناقب الاولياء و كنز الجواهر و يد بيضاء و التقريظ على سواطع الالهام و ما إلى ذلك.

3.مولوي جلال الدين: كان عالما كبيرا وصوفيا شهيرا جدا. إنه حاول محاولة عظيمة لنشر الإسلام في كشمير ودون شرح در المختار باللغة العربية لكي يفهمها طلاب اللغة العربية بكل سهولة.

4.ملا محمد جندسو: إنه ترجم القرآن الكريم باللغة العربية تحت العنوان مفاتيح البركات وله شرح لكتاب كبريت أحمر باللغة العربية.

5.أخوند ملا نازك: كان من كبارا لعلماء الكشميريين وقد ساهم مساهمة عظيمة في تطور الادب العربي بقرض الشعر بالعربية و للنموذج هنا بعض أشعاره :

أنت مطلوب و منظور لنا
أنت محبوب ومقصود لنا
إن وعدتم باللقاء في الآخرة
و هو في الكون مشهود لنا
لا ترى في الكون إلا وجهك
انت مشهود و موجود لنا([1])

6. أنور شاه كشميري: كان الأستاذ والشيخ محدثا وعالما كبيرا و داهية وقورا. . إنه تعلم العلوم العربية و الإسلامية من الشيخ غلام محمد رسوني ثم قصد إلى هزاره حيث مكث ثلاث سنوات ثم سافر إلى دارالعلوم ديوبند حيث قضى أربع سنوات و تخرج منها عام 1313الهجرية . له مساهمة عظيمة في تطوير اللغة العربية فقد مكث في كشمير بعد تخرجه في دار العلوم ديوبند و انشأ مدرسة في باره موله ودرس هناك سبع سنوات ثم درس في دار العلوم ديوبند و ألف كتبا كثيرا من أهمها ما يلي:

التصريح بما تواتر في نزول المسيح
فضل الخطاب في مسالة أم الكتاب
نيل الفرقدين في مسالة رفع اليدين
كشف الستر في صلاة الوتر
فيض الباري بشرح صحيح البخاري

و لم يكتف على ذلك فحسب بل ترك ميراثا علميا عظيما في شكل التلامذة الذين أدوا دورا هاما في ترويج اللغة العربية و حمد من أشهرهم :

1.الشيخ محمد طيب و العلامة مناظر أحسن الكيلاني و العلامة المفتي محمد شفيع و محمد منظر النعماني و المحدث الشيخ محمد يوسف البنوري و المفتي عتيق الرحمن و العلامة محمد ميان و العلامة السيد أحمد رضا البجنوري و غيرهم .([2])

و عندي قائمة طويلة للشعراء و العلماء و الادباء الذين قاموا بخدمة اللغة العربية إما بأشعارهم او بكتبهم القيمة ومنهم المذكورون أدناه :

[1] تذكره صوفياء كشمير ص:444

[2] نزهة الخواطر المجلد 7ص:227

1.الشيخ داود الخاكي رحمه الله و الشيخ حمزة المخدوم رحمه الله والشيخ حبيب الله نوشهري و ملا طيب و الشيخ صدر الدين و الشيخ ميرك الشاه الإندرابي و السيد جلال الدين البخاري رحمه الله و غيرهم كثيرلا يمكن إحصاءهم بالعدد.

المراجع و المصادر

1.نزهة الخواطر لعبد الحيّ بن فخر الدين الحسيني، حيدر آباد دكن ،ص:1350ھ

2.شيخ نور الدين نوراني ولي كامل ،دكتور عبد الغني

3.فوق محمد دين ، مكمل تاريخ كشمير ،ويريناغ فبلشرز مير بور 1991م

4.محب الحسن ، كشمير سلاطين كي عهد مين مطبع معارف ، أعظم غده 1386ھ

5.ماهنامه برهان ، ج 34،شماره 6،جون 1955،شوال 1474ھ دهلي

6.نفس المرجع ، ج 83،شماره 5،نوفمبر 1،1979ذي الحجه 1399ھ دهلي

7.ثقافة الهند ، المجلد 50،العدد1-2 1999نيودلهي

8.شيرازه ،مارج 1981 ،سرينغر

9.أماثيل كشمير لمظفر حسين الندوي ، الناشر: دار الحكمة الندوية ، شاهمدان كالوني سري نجر كشمير 190002

10.مدارس كشمير الإسلامية لمظفر حسين الندوي، الناشر: دار الحكمة الندوية، شاهمدان كالوني سري نجر كشمير 190002.